Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منتظمًا من حيث الكم، فعدد المقاطع فى آيات هذه الوحدة يكاد يكون متساويًا، إذ نجد الآيتين الأولى والثالثة تبلغان أحد عشر مقطعا، بفارق مقطع واحد عن الآية الثانية التى بلغ عدد آياتها عشرة مقاطع أحدها مقطع من النوع الرابع زائد الطول (٤). وتستقر بنية السجع فى أواخر الفواصل الثلاث لتمثل نقطة ارتكاز تفصل بين مسافات متوازنة كميًا وصوتيا ودلاليا؛ إذ تكون نهاية كل آية صوتيا بحرف "الألف اللينة" -متوافقة مع النهاية الدلالية.

ومرة أخرى تأتى المسافات التعبيرية متوازنة فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[1]. حيث يبلغ عدد المقاطع المكوّنة للآية الواحدة منهما عشرة مقاطع.

ويمثل توازن المسافات التعبيرية -إذن- الاختيار الإيقاعى الغالب فى السورة من حيث مرات تردده، بيد أنه ليس الاختيار الوحيد؛ فالنص يعمد فى الآيات الخمس الأولى إلى المراوحة بين القرائن فى الكم المقطعى على النحو الآتى (٣-٧-١٢-١٤-١٣) مقطعًا. وهنا يؤسس غياب التماثل العددى هو أيضا لخصوصية السّجع الذى يصير مضطلعًا بخلق الإيقاعية، فالمعاون الشكلى المتمثل فى تساوى الكم المقطعى مفقود، ومع ذلك فإن أصداء الإيقاع ليست غائبة وإنما يولدها السجع، وإن كانت فى هذه المرة أقل رنينًا.

ويرى البحث أن توازن المسافة الإيقاعية أو اهتزازها يعد -بالدرجة الأولى- صدى لحركة المعنى. "فالمسافة -وإن أخذت شكلا محسوساً- فإنها أصلا عملية ذهنية خالصة، وبما أن الذهن نفسه يحتاج إلى محطات وقوف، فإن البناء التعبيرى يتابعه فى "اختيار" هذه المحطات، بل والتركيز عليها بترديد صوت بعينه فى نقطة بعينها".[2] وتستوقفنا هنا كلمة "اختيار"، فالمسألة ليست تنظيمًا للأدلة على أسطر أفقيّة متوازية فقط، بل هى -قبل كل شىء- عمليّة توزيع للمسافات التعبيرية، وبمجرد أن ينفرد النص بحرية اختيار محطات الوقوف يصبح ذلك التوزيع دالاً.

---

(١) (٧ ٣ ٣ ٧ ٢ ٧ ٢ ٧ ٧ ٢ ٣ ٣، ٧ ٣ ٣ ٣ ٢ ٢ ٣ ٣ ٧ ٧ ٧ ٢ ٣ ٣).
(١٠) مقاطع ، (١٠) مقاطع

(٢) بناء الأسلوب فى شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، ١٩٨٨، ص ٣٧٤.